دولة الشعب

في صباح يوم ٢٩ يونيو ٢٠٢١، وفي إطار التحضيرات للذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، أقيمت مراسم في قاعة الشعب الكبرى ببكين لمنح وسام "الأول من يوليو"، أرفع وسام يمنحه الحزب.

في قاعة الاستقبال، تُعرض لوحة ضخمة مرسومة بالحبر الصيني بعنوان «البلاد ذات المناظر الطبيعية الخلابة»، تُظهر مناظر طبيعية بديعة لجبال متموجة وأنهار متدفقة، وتشهد على لحظة مجيدة تنتمي إلى الشعب.

إنها لحظة لتكريم أبطال من عامة الشعب. قال شي جين بينغ، الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني "إن جميع الحاصلين على وسام 'الأول من يوليو' يأتون من الشعب ومتجذرون في الشعب. إنهم أبطال من عامة الشعب أدوا واجباتهم وقدموا إسهامات". ووجدت كلماته الصادقة والبسيطة صداها في نفوس جميع الحاضرين لهذه المراسم.

إنها اللحظة التي يتجلى فيها مبدأ دولة الشعب. قال شي "هذه الدولة هي الشعب والشعب هو الدولة. يجب على جميع أعضاء الحزب التمسك بموقف الشعب، وإعطاء الأولوية لاحتياجاته، والسعي باستمرار لمعالجة الأمور العملية لصالح الشعب، والحفاظ على رابطة وثيقة مع الشعب في جميع الأوقات".

في الثقافة الصينية، غالبا ما يُستخدم مصطلح "جيانغ شان" للإشارة إلى البلاد، وهو مكون من مقطعين دالين على معنى "النهر" و"الجبل". وقد تم تصميم قاعة الشعب الكبرى على شكل مقطع "الجبل"، ليكون رمزا لمفهوم "دولة الشعب".

في عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩، قام أكثر من ٣٠ ألف عامل، بالتعاون مع أكثر من ٣٠٠ ألف متطوع، ببناء قاعة الشعب الكبرى للاحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية. اكتمل المشروع بأكمله في فترة تزيد قليلا عن عشرة أشهر. واستطاع الناس، مستلهمين الحماس الذي

أثاره التحرير والتمكين، صُنع معجزات الصين الاشتراكية.

يعتبر مصطلح "جيانغ شان" تاريخيا استعارة مكنية للسلطة السياسية، وقد اكتسب الآن معانٍ جديدة.

قال شي ذات مرة "على مدى أكثر من ألفي عام منذ أن وحد الإمبراطور تشين شي هوانغ الصين، شهدت البلاد تغييرات عديدة في السلالات الحاكمة. ومع ذلك، ظل مفهوم أن ‹كل الأراضي تحت السماء ملك للإمبراطور، وكل الناس خدم للإمبراطور› ثابتا، واستمر نظام الحكم الملكي المطلق".

كيف يمكننا كسر الدورات المتكررة بين النظام والفوضى، والازدهار والانحدار عبر التاريخ؟ واستلهاما لأفكار رجال الدولة والمفكرين السابقين الذين بحثوا في هذه المسألة، قال شي "بعد أن قاد الحزب الشيوعي الصيني الشعب الصيني إلى النصر في الثورة، كيف ينبغي ممارسة سلطة الدولة؟ وكيف ينبغى إدارة الدولة؟"

في ٨ أغسطس ١٩٤٣، خلال حفل افتتاح القسم الثاني لمدرسة الحزب المركزية في يانآن، شمالي مقاطعة شنشي، شدد ماو تسي تونغ على أن الحزب الشيوعي الصيني يجب أن يمر بـ"تحولين". يشمل التحول الأول تحويل مجتمع شبه استعماري وشبه إقطاعي إلى مجتمع ديمقراطي، فيما يتطلب التحول الثاني الانتقال من مجتمع ديمقراطي برجوازي إلى مجتمع اشتراكي بروليتاري.

بعد عامين، أيضا في يانآن، تم إدراج مبدأ "خدمة الشعب بكل إخلاص" رسميا في دستور الحزب خلال المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني.

وفي أكتوبر ٢٠٢٢، بعد أربعة أيام من اختتام المؤتمر الوطني العشرين للحزب، زار شي يانآن. وقال "الحزب الشيوعي الصيني هو حزب الشعب ويخدم الشعب. ويجب على الحزب الحاكم أن يعمل من أجل الشعب ويضمن رفاهيته".

أجرى الحزب الشيوعي الصيني تأملات واسعة في مسيرته، وأكد مرارا هويته كـ"حزب الشعب". فالحزب الشيوعي الصيني، بعد أن تحمل المشقات والتحديات على مدى القرن الماضي، هو الذي مكّن الشعب الصيني حقا من أن يصبح سيد الأمة. فالدولة ملك للشعب، ويسبق اسمها دائما لفظ "الشعب".

في ٥ سبتمبر ٢٠١٤، خلال مراسم الاحتفال بالذكرى الستين لإنشاء المجلس الوطني لنواب الشعب الصيني، أشار شي قائلا "اسم بلدنا وأسماء جميع أجهزة الدولة على مختلف مستوياتها

يسبقها دائما لفظ 'الشعب'، وهو ما يعكس المكانة الأساسية للحكومة الاشتراكية في الصين".

إن كسب قلوب الشعب يعني امتلاك المبادرة في التاريخ، وقيادة مستقبل الصين ومصيرها بحزم.

خادم الشعب

"أنا خادم الشعب".

هكذا قدم شي نفسه عند زيارة قرية شيبادونغ الفقيرة الواقعة في ولاية شيانغشي ذاتية الحكم لقوميتي توجيا وملياو بمقاطعة هونان في نوفمبر ٢٠١٣. دخل شي منزل أحد القرويين، وهو عبارة عن كوخ خشبي ضعيف الإضاءة، وسلم على صاحبة المنزل، شي با سان المنحدرة من قومية مياو. وكان تقديمه لنفسه بمثابة افتتاحية دافئة ومؤثرة. ثم شارك القرويين الحديث، وطرح لأول مرة مفهوم "اتخاذ تدابير هادفة ومحكمة لمساعدة الفقراء".

إن القضاء على الفقر هو الشاغل الأول لشي. فهو يوجّه حبه العميق للشعب إلى أفعال حاسمة، حيث أطلق أكبر وأقوى حملة لمكافحة الفقر في تاريخ البشرية، والتي ساعدت على انتشال حوالي ١٠٠ مليون شخص من براثن الفقر.

اليوم، تم تجديد المنازل في قرية شيبادونغ. وبعد أن لم يسبق لها مغادرة الجبال، سافرت شي با سان إلى بكين وزارت ميدان تيانآنمن.

قال شي "لقد كافح الحزب من أجل البلاد ودافع عنها ليعيش الشعب حياة أفضل. ويجب على الحزب أن يحافظ على دعم الشعب".

وتتوافق حماية دولة الشعب مع التطلع الأصلي لشي.

قال شي ذات مرة "لقد نشأت على يد الحزب والشعب، لأصبح ما أنا عليه اليوم". في أوائل عام ١٩٦٩، وصل شي جين بينغ، الذي كان يبلغ من العمر ١٥ عاما آنذاك، إلى قرية ليانغجياخه في شمالي مقاطعة شنشي كـ"شاب مثقف" - وهو مصطلح يشير إلى شباب الحضر الذين أُرسلوا إلى المناطق الريفية "ليتعلموا من المزارعين". عاش شي في مساكن كهفية، وتحمل ظروفا قاسية، بما في ذلك لدغات الحشرات، وعمل جنبا إلى جنب مع القرويين، حيث استصلح الأراضي البور، وزرع، وربى الأغنام، وقطع العشب، وحمل أحمالا من السماد وجمع الفحم. وهنا أدرك أن نيته

الأصلية لدخول العمل السياسي تكمن في ضمان أن "يتمتع القرويون بوجبة شهية من أطباق اللحم".

بعد سبع سنوات، في صباح اليوم الذي غادر فيه شي ليانغجياخه، اكتظ الفناء بالقرويين الذين تجمعوا لوداعه. ورأوه، وهو الذي لم يذرف دمعة واحدة رغم تحمله الكثير من المشقات على مر السنين، يبكي لأول مرة.

قبل مغادرته، قدّم شي لرفاقه في القرية حقيبة خياطة صغيرة مطرزة برموز صينية تعني "قلب الأم" صنعتها له والدته، تاركا هذا الكنز الغالي مع حبه للناس. وكتب شي في مقالة سيرته الذاتية "محبة المرء للشعب مثل محبته لوالديه". وأضاف "بصفتي مسؤولا عاما، هضبة اللوس تمثل جذوري، وقد غرست في نفسي قناعة راسخة بضرورة اتخاذ إجراءات عملية من أجل الشعب. فأينما ذهبت، سأظل دائما ابن الأرض الصفراء".

ومع تمسكه بتطلعاته الأصلية، ظل شي مخلصا من صميم قلبه للشعب طوال الرحلة.

في محافظة تشنغدينغ بمقاطعة خبي، حيث شغل منصب مسؤول محلي شاب، كان شي يستخدم دراجة هوائية بالية لأداء الأعمال الميدانية في أكثر من ٢٢٠ لواء إنتاج تابع لـ٢٥ كومونة في المحافظة. وأقام مكاتب مؤقتة في الشوارع ليجلس بجانب المواطنين العاديين ويستمع بانتباه إلى همومهم. وتذكر زملاؤه السابقون تلك الفترة قائلين "كان باب لجنة الحزب في المحافظة مفتوحا دائما، يمكن لأي شخص من جميع مناحي الحياة الدخول مباشرة إلى مكتب شي للتحدث معه. وفي الليل، كان ضوء نافذته دائما آخر ما ينطفئ".

في نينغده بمقاطعة فوجيان، حيث شغل شي منصب أمين لجنة الحزب المحلية، أنشأ شي نظاما يشجع الكوادر على النزول إلى المجتمعات على المستوى القاعدي للاطلاع بشكل مباشر على أوضاعها. وبادر بنفسه إلى تطبيق ذلك، فزار أبعد المناطق وأكثرها فقرا. وخلال رحلة شاقة إلى بلدة شيادانغ في محافظة شونينغ، اضطر أفراد فريقه إلى شق طريقهم عبر إزالة الشجيرات والأشواك، كما شربوا من جداول الجبال على طول الطريق. وقد أثار ذلك إعجاب القرويين وقالوا إن شي كان أعلى مسؤول يزور منطقتهم على الإطلاق.

في مقاطعة تشجيانغ، وخلال إعصار مدمر، ظل شي مستيقظا طوال الليل في مقر إغاثة الكوارث، يشرف على تنظيم عمليات الإجلاء. كما استقل قارب إنقاذ للوصول إلى السكان العالقين. وقد أُعجب المسؤولون المحليون بقوة شي وحزمه، مشيدين بتصديه للتحديات في وقت

حرج، وبكونه زعيما "قادرا على القيادة والكفاح إلى جانبنا".

في شانغهاي، خرج شي ذات مرة رغم الأمطار الغزيرة لزيارة أحد الأحياء السكنية. وعندما قدم له السكان المحليون قطعة يدوية على شكل ثور، علق قائلا "آه! فهمت - تريدون مني أن أكون خادما مخلصا للشعب، مثل الثور المجتهد!" كما أن صون دولة الشعب بحزم يمثل عزما راسخا لا يتزعزع لدى شي.

في ١٥ نوفمبر ٢٠١٢، بعد انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية، أعلن شي تعهدا مهيبا قال فيه "إن تطلع الشعب إلى حياة أفضل هو ما نسعى من أجله".

شدد شي، وهو رجل دولة ذو بصيرة، على أن "كسب دعم الشعب هو الأولوية السياسية العليا". وفي تخطيطه طويل الأمد، أدرج نهجا يتمحور حول الشعب في مجمل عملية الحكم. وفيما يتعلق بهدف بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل وتعزيز الرخاء المشترك، أكد قائلا "يجب ألا نترك أحدا خلف الركب". وعندما تفشت جائحة كوفيد-١٩ على نحو مفاجئ، اتخذ قرارات سريعة لشن معركة حازمة ضدها، متمسكا بمبدأ "وضع الشعب وحياته فوق كل شيء" وضمان "عدم ترك أي شخص دون عون". وبصفته زعيم هذه الأمة العظيمة، يولي شي الشعب أقصى درجات الاهتمام.

بصفته داعما للإصلاح، اتخذ شي سلسلة من الترتيبات على أعلى المستويات، معتبرا أن "الرأي العام هو المقياس الأصدق". ويبرز احترامه لآراء الشعب في تصريحاته، مثل "الاستجابة لنداءات الشعب بالإصلاحات" و"ضمان مشاركة شعبنا بشكل أكبر وأكثر عدلا في مكاسب التنمية" و"الحفاظ على البيئة لصالح الأجيال القادمة" و"إثارة استياء بضع مئات من المسؤولين الفاسدين بدلا من خذلان ١,٤ مليار مواطن صيني". كما شدد على أن الهدف الأسمى هو رضا الشعب وموافقته.

سافر شي، وهو براغماتي في عمله، في أنحاء البلاد لمعالجة المسائل التي تؤثر بشكل مباشر على كل أسرة. فعلى مدى السنوات العشر الماضية، وخلال حضوره "الدورتين السنويتين" للهيئة التشريعية الوطنية وأعلى هيئة استشارية سياسية في الصين، شارك في ٥٣ جلسة مناقشة جماعية، واستمع إلى شواغل حوالي ٤٠٠ من المشرعين الوطنيين والمستشارين السياسيين. وظل يضع في ذهنه المسائل التي تهم الشعب، وتعامل معها على أنها مسائل ذات أولوية قصوى.

أكد شي قائلا "يجب على الحزب الشيوعي الصيني أن يكرس كل جهوده لضمان حياة أفضل

للشعب". وأضاف "يجب أن نستمر في السعي للتحسين من خلال الجهود الدؤوبة".

وفي عام ٢٠١٩، طرح طلاب صف اللغة الصينية في مدرسة نايلز نورث الثانوية بولاية إلينوي الأمريكية هذا السؤال في رسالة إلى شي "هل تحب عملك؟ وهل هو متعب؟"

فأجاب شي "عملي هو خدمة الشعب. إنه متعب جدا، لكنه أيضا مُرضٍ للغاية".

وقطع وعدا من القلب قال فيه "سأكرس كل جهودي للشعب ولن أخذله أبدا".

قضاء الوقت مع المواطنين

في يوم ثلجي، صادف ٢٦ يناير ٢٠٢٢، زار شي قرية فنغنانيوان في مدينة هوتشو بمقاطعة شانشي، إحدى المناطق التي تضررت بشدة من الفيضانات في العام السابق. وفي منزل أحد القرويين، انضم شي إلى شي هونغ بينغ وعائلته لصنع "نيانمو"، وهو خبز بخاري تقليدي يرمز إلى الحظ السعيد بمناسبة عيد الربيع أو رأس السنة الصينية الجديدة. غسل شي يديه، وشمر عن ساعديه، وصنع بسرعة واحدة مزينة بالتمر.

قال شي "ما يبعث الطمأنينة في قلبي هو أن أرى منازلكم قد أُعيد بناؤها بشكل جيد، وأن إعانات ما بعد الكارثة قد وزّعت بعدل، وأن هناك وفرة من الطعام وروحا احتفالية سائدة استعدادا لاستقبال العام الجديد". بثّت كلماته الطيبة الراحة في نفوس القرويين وسط برد الشتاء القارس.

منذ عام ٢٠١٣، أسس شي تقليدا يتمثل في زيارة الكوادر والمواطنين على المستوى القاعدي، وتقديم التهاني بمناسبة العام الجديد لجميع الصينيين خلال الأيام التي تسبق عيد الربيع كل عام.

يتذكر قرويون من ليانغجياخه بمقاطعة شنشي جليا اليوم الذي عاد فيه شي لزيارة أصدقائه القرويين. كان ذلك بعد أن أمضى شبابه في المنطقة كـ"شاب مثقف"، حيث جاء حاملا معه هدايا العام الجديد التي اشتراها لهم. وفي منزل كهفي، جلس شي على السرير الطوبي الدافئ تماما كما يجلس القرويون.

لا يزال تشو ماو جين، المقيم في زقاق تساوتشانغسيتياو في بكين، يتذكر حين قام شي بإعداد معجنات "جياوتسي"، أحد الأطعمة التقليدية للعام الجديد، وهو يتجاذب أطراف الحديث مع العائلة. قال شي "في المنزل، نحب أيضا تناول معجنات الجياوتسي المحشوة بالشبت. ومع ذلك،

لم تتح لي الفرصة لمساعدة عائلتي في صنعها لسنوات بسبب انشغالي في العمل. لكن انظروا، كلما تدربت أكثر الآن، أصبحت أفضل". وأضاف وهو يشير إلى قطع الـ"جياوتسي" التي صنعها "حياتنا تشبه ذلك، إنها تتحسن يوما بعد يوم!"

في يناير ٢٠٢٠، زار شي قرية سيمولا في مقاطعة يوننان. وروى أحد القرويين، ويدعى لي فا شون، قائلا "أواجه صعوبة في المشي. وعندما صعدت لتحيته، لوح لي الأمين العام من بعيد، مذكرا إيّاي بضرورة أن أتقدم بهدوء وألا أتعجل. وشعرت بدفء على الفور". ما زال لي فا شون يتذكر إعداد كعكات الأرز اللزج التقليدية مع شي. فحينها، لاحظ شي أن الكعكات عادة ما يُطبع عليها مقاطع صينية تمثل "البركة" و"السعادة"، فقام بإضفاء تمنياته من خلال طباعة هذين المقطعين على الكعكات التي صنعها.

في فبراير ٢٠١٦، قام شي، متحديا الرياح والثلوج، بزيارة سكان قرية شنشان الواقعة في جينغقانغشان بمقاطعة جيانغشي. وفي منزل تشانغ تشنغ ده، وهو قروي يعاني من الفقر، تجول شي داخل البيت وجلس للدردشة مع الزوجين. واستفسر عن محاصيلهم ومواشيهم وعما إذا كانوا يواجهون أي تحديات. وبينما كانت العائلة تقدم له كعكات ميقوه (كعكات أرز مطهوة على البخار)، أشادت زوجة تشانغ بشي قائلة "إنه زعيم طيب، يجعل المواطنين العاديين يشعرون بالاكتفاء".

من "ثورة المراحيض" وفرز النفايات إلى التدفئة النظيفة وسلامة الغذاء، يظل شي متابعا لكل مسألة تؤثر على رفاهية الشعب، رغم انشغاله بالمسؤوليات الكبيرة الخاصة بإدارة الشؤون الإستراتيجية للدولة.

في ربيع عام ٢٠٢١، زار شي قرية ماوتشوشان في مدينة قويلين، بمنطقة قوانغشي ذاتية الحكم لقومية تشوانغ. وتوقف عند منزل القروي وانغ ده لي.

قال وانغ "يا سيادة الأمين العام، أنتم مشغولون جدا بإدارة شؤون الدولة، ومع ذلك تفرغون وقتا لزيارتنا. شكرا جزيلا لكم!"

أجاب شي "هذا هو واجبي، فأعلى أولويات الدولة هي سعادة شعبنا".

يشيد الناس بهذا الالتزام. سواء كان الأمر متعلقا بالقرويين من قومية يي في منطقة داليانغشان الجبلية الذين تم انتشالهم من الفقر، أو العاملين في المجتمعات المحلية الذين كافحوا كوفيد-١٩، أو القرويين المشاركين في مشاريع النهوض الريفي، فإن الجميع يشعرون بالسعادة

لاتباعهم قيادة شي ولجنة الحزب المركزية، ويظلون متفائلين بمستقبلهم.

أثناء جولته التفقدية في مقاطعة شانشي، تحدث شي مع القروي باي قاو شان. وسأله شي "ما خططكم للمستقبل؟" أجاب باي "نأمل أن تستمر حياتنا في التحسن".

قال شي "ستستمر الحياة في التحسن! فأيام أكثر إشراقا قادمة!" كان لكلماته أثر بالغ، إذ عمّت ضحكات مبهجة أرجاء المكان. وأضاف "أحلام بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، وبناء أمة قوية، وتحقيق حلم الصين، كلها تدور حول سعي شعبنا نحو السعادة".

الشعب يستفيد من التنمية

تعود المشاريع العملاقة بالفائدة على البلاد والشعب.

في أوائل صيف عام ٢٠٢١، أثناء تفقده مشروع تحويل المياه من الجنوب إلى الشمال في مدينة نانيانغ بمقاطعة خنان، صرح شي قائلا "بمجرد اكتمال شبكة المياه، سيكون هذا إنجازا بارزا في جهود الأمة الصينية لإدارة المياه على مدى آلاف السنين، تاركا بصمة دائمة في التاريخ للأجيال القادمة".

اليوم، تتدفق المياه النقية المنبعثة من سهل جيانغهان في وسط الصين عبر جبال باشان، متعرجة عبر وسط البلاد ومتقاطعة مع النهر الأصفر وجبال تايهانغ. وتجري هذه المياه آلاف الكيلومترات شمالا لتصل في النهاية إلى المدينة الكبرى بكين. وعبر هذه الأرض الشاسعة، يتشكل الإطار غير المسبوق المعروف بـ"أربعة خطوط أفقية وثلاثة خطوط رأسية"، والذي يُعد العمود الفقري وشريان الحياة لشبكة المياه الوطنية الصينية. وعند وضع هذا المشروع في سياق نضال الأمة عبر خمسة آلاف عام نحو الازدهار، فإنه يتجلّى كمعجزة تاريخية بحق.

انطلاقا من سهل تشنغدو، يشق خط سكة حديد سيتشوان-شيتسانغ طريقه عبر سبعة أنهار كبرى وثمانية سلاسل جبلية، وفي مرحلة ما، يرتفع بشدة إلى ارتفاعات تتجاوز ٤ آلاف متر. وتجلب هذه المعجزة الهندسية، التي تخترق القمم عبر الأنفاق وتمتد فوق الأنهار الجبارة، فرصا جديدة حقيقية لسكان المناطق الواقعة على طول مسارها.

قال شي في يوليو عام ٢٠٢١ أثناء مناقشة تطوير شبكة السكك الحديدية في المناطق الحدودية الغربية للصين "إن خريطة النقل في الصين تشبه لوحة فنية. فقد رُسمت مناطق وسط وشرقي

وشمال شرقي الصين بدقة متناهية لجميع تفاصيلها، بينما ظلت منطقة غربي الصين فارغة إلى حد كبير - إنها لوحة تنتظر ضربات فرشاة جريئة جديدة (لتحقيق الربط البيني)". حملت كلماته إحساسا بالتبصر والالتزام. ووضع شي خططا ذات رؤى للتنمية المستدامة لصالح الشعب.

من أجل تطوير الأنهار الرئيسية في البلاد، دفع شي قدما بتطوير حزام التنمية الاقتصادية لنهر اليانغتسي، وعمل على تعزيز الحفاظ الإيكولوجي والتنمية عالية الجودة في حوض النهر الأصفر، ودعم المشاريع التي تركز على التنمية الخضراء مع إعطاء الأولوية للحماية الإيكولوجية لـ"الأنهار الأم" في البلاد.

أما بالنسبة لتجمعات المدن، فقد صاغ شي إطارا إستراتيجيا يشمل منطقة بكين-تيانجين-خبي، ومنطقة الخليج الكبرى، ودلتا نهر اليانغتسي. ويهدف هذا النهج إلى تعزيز التجمع الحضري لإنشاء مراكز ومحركات نمو جديدة لدفع الابتكار.

وعلى صعيد التنمية الإقليمية، قام شي بتسريع الجهود لتعزيز التنمية الكبرى للمنطقة الغربية، وتحقيق نهضة شمال شرقي الصين بشكل كامل، ودفع تقدم المنطقة الوسطى، وتحقيق التنمية الرائدة في المنطقة الشرقية.

ظهرت منطقة شيونغآن الجديدة كمشروع ذي أهمية كبرى للألفية القادمة. ودفعت المهام التاريخية الجديدة إلى أن تعمل هاينان على بناء ميناء تجارة حرة ذي خصائص صينية، وشنتشن على إنشاء منطقة تجريبية رائدة للاشتراكية ذات الخصائص الصينية، وشانغهاي على تحويل منطقة بودونغ الجديدة إلى محور متقدم للتحديث الاشتراكي. ومع إنشاء جسر هونغ كونغ-تشوهاي-ماكاو الذي يمتد عبر مصب نهر اللؤلؤ، حققت منطقة الخليج الكبرى قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو مزيدا من الربط البيني، مما عزز دمج هونغ كونغ وماكاو في مسيرة تنمية البلاد.

ووفقا لما قاله شي، فإن الأجيال الصينية المولودة من سبعينيات القرن العشرين وحتى ما بعد عام ٢٠٠٠، باتت اليوم قادرة على الانخراط مع العالم بثقة وعلى قدم المساواة، وهو ما يعكس تنامي المكانة العالمية للصين.

لاقت تصريحات شي خلال "الدورتين السنويتين" لعام ٢٠٢١ صدى واسعا وعميقا. فالشعب الصيني اليوم يستفيد من أكبر أنظمة التعليم والضمان الاجتماعي والرعاية الصحية في العالم، إلى جانب الإنجازات المزدوجة للبلاد المتمثلة في النمو الاقتصادي السريع والاستقرار الاجتماعي طويل الأمد. وبفضل هذه الفوائد المستدامة والملموسة من التنمية الاقتصادية والاجتماعية،

يشعر الناس بمزيد من الأمان والسعادة.

فهم يسيرون قدما بثقة ويقين وإرادة حرة، مع معنويات عالية ومعززة. وبسيطرتهم الكاملة على مصيرهم، يمضون قدما على الطريق الذي يختارونه بأنفسهم - طريق يقود إلى التقدم والرخاء.

التمسك بالمهمة التأسيسية

إلى جانب منطقة شينتياندي النابضة بالحياة في شانغهاي - المضيئة بأضواء النيون والمزدحمة بالزائرين - يقف منزل متواضع من طراز شيكومن في شارع شينغيه، وهو مسقط رأس الحزب الشيوعي الصيني. وما زالت مصاريع نوافذه مطلية باللون الأحمر، تماما كما كانت قبل أكثر من قرن.

ينبع هذا اللون الأحمر الراسخ من المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي الصيني.

في مارس ٢٠١٩، وخلال "الدورتين السنويتين"، رُويت لشي قصص عن كواليس عرض فيلم يصوّر معركة نهر شيانغجيانغ الشرسة، وهي إحدى المعارك الكبرى في المسيرة الطويلة خلال ثلاثينيات القرن العشرين. وقال أحد الحاضرين "بعد العرض، وقف طلاب من بين الجمهور بشكل تلقائي في تحية صامتة وانحنوا إجلالا. كما عبّر الجنود الحاضرون عن مشاعرهم على المنصة، متعهدين بتلبية نداء الوطن في أي وقت.

استمع شي بانتباه، وقال "تأسست جمهورية الصين الشعبية بدماء عدد لا يُحصى من الأبطال الشهداء. لن يبهت اللون الأحمر أبدا. ولا يجوز أبدا أن نفشل في تأمين مستقبل الوطن الذي طالما حلم به الشهداء، وناضلوا من أجله، وقدموا حياتهم في سبيله".

كانت كل التضحيات والنضالات مدفوعة بتطلع نقي وصادق، ألا وهو السعي لتحقيق السعادة للشعب الصيني والسعي من أجل تحقيق نهضة الأمة الصينية.

في ٣١ أكتوبر ٢٠١٧، وبعد أسبوع واحد فقط من انعقاد المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب، قاد شي أعضاء اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية إلى شانغهاي، لزيارة الموقع الأصلي الذي عُقد فيه المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي الصيني.

هناك، أمام علم قرمزي للحزب، رفع قبضته اليمنى وجدد قسم العضوية، وامتلأت عيناه

بالدموع. لقد كانت رحلة معنوية لاستعادة مهمة الحزب التأسيسية وإحياء روحها.

وقال "أتعهد رسميا بالانضمام إلى الحزب الشيوعي الصيني، ودعم برنامجه، والالتزام بدستوره". وقد وجد هذا القسم صدى واسعا.

منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام ٢٠١٢، قام شي بزيارات واسعة النطاق للمواقع الثورية التذكارية في جميع أنحاء الصين.

إن الحزب الذي يبقى نقيا، مخلصا لرسالته، وثابتا على مثله العليا، لا ينفصل عن الشعب - كما لا تفترق الشفتان عن الأسنان، ولا تنفصل الأوردة عن الدم. مثل هذا الحزب سيصنع أمة خالدة.

منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، قامت أجهزة فحص الانضباط والرقابة في جميع أنحاء البلاد بالتعامل مع أكثر من ٤,٦٤٨ مليون حالة. من بينها، تم التحقيق مع ٥٥٣ مسؤولا مركزيا، وتم اتخاذ إجراءات تأديبية ضد أكثر من ٢٥ ألف كادر على مستوى المقاطعة وأكثر من ١٨٢ ألف كادر على مستوى المحافظة.

يتعجب البعض من الحجم غير المسبوق لحملة مكافحة الفساد هذه في التاريخ الصيني. لماذا يبذل الحزب الشيوعي الصيني كل هذا الجهد لمكافحة الفساد، وتنفيذ حوكمة صارمة للحزب، والسعي للإصلاح الذاتي؟

نبه شي ذات مرة قائلا "أكبر تفوق سياسي لحزبنا هو الارتباط الوثيق بالجماهير، كما أن أكبر خطر يواجه الحزب بعد توليه الحكم هو الانفصال عن الجماهير".

وأضاف أن الحزب الشيوعي الصيني "ليس له مصالح خاصة به" ويضع دائما رفاهية الشعب في المقام الأول. وأضاف "إذا سمحنا لبضع مئات من المسؤولين الفاسدين بالتسلل من خلال الشقوق، فسوف نخذل جميع أبناء الشعب الصيني البالغ عددهم ١,٤ مليار". وأوضح أن هذا "خيار سياسي لا يوجد له بدائل، خيار يخاطر بفقدان دعم الشعب إذا لم يُتخذ بحكمة".

الاعتماد على الشعب لتحقيق إنجازات جديدة

تمر قناة عبر المنحدرات الشاهقة لجبال تايهانغ، ومن هنا تنشأ قصة تجسد المثل القائل

"الاتحاد قوة".

في ستينيات القرن العشرين، ولمعالجة ندرة المياه التي ابتليت بها المنطقة منذ آلاف السنين، قضى عشرات الآلاف من سكان محافظة لين بمقاطعة خنان ما يقرب من عقد من الزمان في بناء قناة مياه بشق الأنفس، بطول إجمالي يصل إلى ١٥٠٠ كيلومتر، على جانب جبل تايهانغ. وقد سُميت هذه القناة بـ"هونغتشي" (قناة العلم الأحمر).

في غضون أقل من أسبوع بعد اختتام المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني عام ٢٠٢٢، زار شي هذا الموقع الضخم. وأثناء تمعنه في هذه المعجزة البشرية التي غذت الأرض وشعبها، قال بإعجاب "قناة هونغتشي تشهد على الروح البطولية لأهالي محافظة لين - صمودهم الراسخ أمام الشدائد، وجرأتهم على مواجهة الصعاب".

يمتلك شي فهما عميقا للحيوية البطولية للشعب. وبينما كان يطل على المنحدرات الشاهقة فوق نهر ووجيانغ، تأمل قائلا "لقد تغلب حزبنا على عدد لا يحصى من المحن، وحقق معجزات وانتصارات هائلة - كل ذلك بالاعتماد على قوة الشعب".

خلال زيارة القاعة التذكارية لإحياء ذكرى حملة عبور نهر اليانغتسي عام ١٩٤٩، إحدى المعارك البارزة في حرب التحرير، شدد شي على الدرس التاريخي قائلا "لقد تحقق انتصار حملة هوايهاي بفضل المواطنين العاديين الذين استخدموا عربات اليد لنقل الإمدادات لقوات جيش التحرير الشعبي؛ كما تحقق انتصار في حملة عبور اليانغتسي بفضل المواطنين العاديين الذين نقلوا الجنود بقواربهم".

أثناء تأديته التحية للجنة الحزب السابقة في سويده بمقاطعة شنشي، قال شي "قاد الحزب الشيوعي الصيني الشعب الصيني إلى النصر في الثورة. ويجب أن يُعزى النصر إلى دعم الشعب، وإلى خيارهم الراسخ بالوقوف إلى جانب الحزب الشيوعي الصيني".

وأثناء تأمله في تاريخ الحزب وجولته في أنحاء البلاد، شدد شي على دروس التاريخ قائلا "الشعب هو مصدر قوتنا".

إن الإنجازات الكبرى في العصر الجديد - مثل التخفيف من حدة الفقر، ومكافحة كوفيد-١٩، والتحول الملحوظ لتلال سايهانبا القاحلة إلى غابات خضراء، والملحمة البطولية لستة رجال مسنين في ترويض بابوشا، وهو كثيب رملي ضخم يقع على الحافة الجنوبية لصحراء تنغر- تحققت بفضل تعاون الحزب والشعب، الذين يعملون جنبا إلى جنب بعزم وجهد. فلا يمكننا

تخطي العقبات والمضي قدما بجرأة وانتصار إلا من خلال توحيد جهود الشعب.

كيف يمكننا توحيد جهود الشعب بشكل أكثر فعالية؟ خلال المراسم الكبيرة التي أقيمت بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، قدّم شي رؤية شاملة وعميقة لكفاح الحزب الذي استمر قرنا من الزمان، وشدد على ضرورة "تطوير الديمقراطية الشعبية الكاملة العملية" خلال الرحلة الجديدة المقبلة.

تم إطلاق حملة لجمع آراء الجمهور على مدى تسع سنوات متتالية، قبيل انعقاد "الدورتين السنويتين" في الصين هذا العام. وخلال مبادرة العام الماضي، قُدم أكثر من ١١٠٠ اقتراح قيّم إلى فريق صياغة تقرير عمل الحكومة، بما يضمن إدماج حكمة الشعب في حوكمة الدولة.

تعمل ديمقراطية الصين من خلال آليات شاملة ومتعددة الأبعاد، مما يجعلها النموذج الأوسع نطاقا والأكثر أصالة والأكثر فاعلية. فهذه العملية بأكملها تشمل استطلاع الآراء عبر الإنترنت، وتلقي الملاحظات التشريعية على المستوى المحلي، وإجراء المشاورات في المجتمعات الريفية والحضرية، ومشاركة المشرعين الوطنيين والمستشارين السياسيين - بما في ذلك المزارعون والعمال والمواطنون العاديون - في مناقشة الشؤون الوطنية مع قادة الدولة، وهو ما يضمن ازدهار ديمقراطية الصين.

في بلد يتمتع فيه الشعب بالسلطة الحقيقية للحكم، تستقر سلطة الدولة بثبات في أيدي الشعب. تقع مدينة تشيويتشو في جنوب شرقي الصين بين الجبال والأنهار. قبل أكثر من ألف عام، أعيدت تسمية محافظة شيويجيانغ في تشيويتشو لتصبح "جيانغشان" (الأنهار والجبال)، وهو الاسم الذي صمد رغم تغيّر التقسيمات الإدارية وتبدّل الأسر الحاكمة. واليوم، تشكل جيانغشان جزءا من مقاطعة تشجيانغ، التي تتطور لتصبح منطقة نموذجية للرخاء المشترك.

ويُعد تعزيز الرخاء المشترك مطلبا جوهريا في المسار الصيني نحو التحديث. وقد وضع المؤتمر الوطني العشرون للحزب الشيوعي الصيني مخططا لبناء الصين لتصبح دولة اشتراكية حديثة عظيمة، وتحقيق نهضة الأمة على هذا الطريق. واليوم، يقف الشعب الصيني مرفوع الرأس، ويشرع في رحلة جديدة لبناء دولة اشتراكية حديثة على نحو شامل.

قال شي بحزم عندما اجتمع أعضاء اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية العشرين للحزب الشيوعي الصيني مع الصحافة "بقوة الشعب، صنعنا التاريخ. والآن، يجب أن نعتمد على الشعب أيضا لتحقيق إنجازات ضخمة جديدة". في مارس الجاري، يجتمع قرابة ٣ آلاف

من المشرعين الوطنيين في قاعة الشعب الكبرى في بكين لحضور الدورة الأولى للمجلس الوطني الرابع عشر لنواب الشعب الصيني، حيث سيُكلَّفون بوضع السياسات التي تضمن رخاء الأمة واستمرار تقدمها.

ومع هبوب نسائم الربيع، تواصل دولة الشعب كتابة فصول جديدة في التاريخ.

北京新华印刷有限公司印制